على هامش النقد

٥ ـ في عالم القصة

الذئاب الجائعة . . . محمود البدوي

الأستاذ سيد قطب

هنا قصاص من لون جديد . وهنا قصة ذات طعم خاص . .

لهذا القصاص عيوبه ، ولهذه القصة هنواتها . ولكن هذا كله شيء آخر . وليس هو بأفضل قصاص ، وليست هي بأرفع قصة . ولكن هذا كله شيء آخر كذلك !

هنا « لذعة » حارة تحسها وأنت تقرأ مجموعة « الذئاب الجائعة » كلها أقصوصة أقصوصة . وهنا « جوع » دائم في كل قصة : وفي كل شخصية — جوع إلى شيء ما : حسي أو معنوي — وهنا « تفزع » دائب في كل موقف وفي كل خطرة — تفزع من شيء ما موجود أو مرقوب .

والقارىء يحس بهذا كله يلهب حسه ، ويلذع أعصابه ، وإذا مر في بعض الأحيان أحس بحذر شديد ، كأنه في بحران . . .

ولأول مرة — فيما أعتقد — تظهر هذه الخصائص في قصة باللغة العربية . وهذا ما يوجب تسجيل هذا اللون الخاص .

وأعود مرة أخرى لأقول : إن الخاصية ليس معناها الأفضلية ؛ وإني لا أرفع هذا اللون فوق الألوان الأخرى ؛ وإن هذه الخصائص لا تنفي نواحي النقص في اللون الجديد . وكل ما يهمني هو تسجيل هذه الجدة ؛ بخيرها وشرها ، وتنبيه القارىء إليها في مجموعة « الذئاب الجائعة » .

* * *

تحتوي هذه المجموعة على ثماني أقاصيص : الذئاب الجائعة ، وساعات الهول ، والنفوس المعذبة . ورجل مريض . وفي القرية . وحياة رجل . وقلب عذراء . وفي القطار .

في « الذئاب الجائعة » و « في القرية » لوحتان خاصتان من حياة الريف المصري السقيم . وفي كلتيهما ذلك الجوع الحار وذلك التفزع العنيف . فالأولى تصور مشهداً من مشاهد اللصوص حياة « أبناء الليل » كما يسمونهم في الريف ، أو ذئاب البشر .

والنبات . فأنت تحسب أن مادتها تتحول إلى حجر . وهذا خطأ يحسن أن ترجع لتصحيحه إلى بعض مصادر هذا العلم الجميل ، فإن تكاسلت ، فاسأل أحداً في مصلحة الطبيعيات يشرحه لك

وبالرغم ... يحسن لمن يدعي أنه بطل نظرية وحدة الوجود في هذا العصر والعصور التوالي أن يقرأ كتاباً واحداً على الأقل في كل من علم الفلك وعلم طبقات الأرض وعلم الحيوان وعلم النبات ، ثم كتاباً واحداً في علم التطور أو النشوء والارتقاء ، لتعلم أشياء كثيرة عن أسرار الحياة والموت وخلق العالم وتكون السدم وانفصال الكواكب وتكون القشرة الخارجية لأرضنا العزيزة ، وما تتركب منه تلك القشرة وكيف غيرت عليها عصور جيولوجية متنوعة انتهت إلى العصر الذي أنجب لنا الصديق الأعز ومن سبق الصديق الأعز ممن يقولون مثله بأن الوجود إنما وجد هكذا مرة واحدة ... بعجره وبجره !

لله ما أظرف دعاباتك يا دكتور زكي ما بعدت تلك الدعابات عن ليلى وأخت ليلى ، وما لم يوقعها سوء الطالع بين علمك القديم ، وعلمك الحديث ؟ !

ترى ماذا أنت صانع لو أن الشاعر العراقي صدقك ، فشد رحله إلى سنتريس يطالبك بالبيت الذي وعدت ، وما يحتاج البيت من زوجة وخدم وضيعة إلى آخر الحكاية التي تعرفها جيداً ؟

أتهرب منه على النحو الذي هربت به من الأسئلة التي وجهناها إليك لتدلي فيها برأيك عما يعتقده الرصافي من قدم العالم وإلهيته واختراع محمد (ص) للخرافة وحدة الوجود وتأليفه للقرآن وإنكار البعث والحساب والعقاب والثواب وتساوي المتضادات أمام (الوجود المطلق الكلي ؟)

اثبت على حال يا صديقي . اثبت على حال واحدة ، رحمك الله رحمة واسعة ، وغفر لك ، فلقد كنت فينا مَرْجُوًّا قبل هذا ... !

دنيا خشبة

حياة السطو الدائم والفزع الدائم والجوع فى فريسة ، كالذئاب الحيوانية التى تشاركهم نفس الحياة !

والثانية تصور حياة « كلة » من العمال الفلاحين كما يطاق على الجماعة ذات الرئيس ينتقل للعمل بهم من مكان إلى مكان . حين تطول بهم الغربة ، ويتعطشون إلى المرأة ، فيصبح صوتها الذى يطرق أسماعهم من بعيد ، وخيالها الذى يداعبهم من قريب ، هما الشغل الشاغل فى الصحو والمنام ! ثم صورة الفتاة النورية تلهب هذا الجوع الغاشم فى نفس رئيسهم الفتى حتى يمرض ويضعف ، فتتحول عنه إلى سواه ، كأنها « الشهوة » الجائعة لا تحفل إلا بما يسد الجوعة من هذا القطيع !

فى كلتا القصتين يبلغ المؤلف مدى خصائصه وأوفاها . فكل شخصية هى « نموذج إنسانى » من « الذئاب الجائعة ! » وكل موقف هو لذعة جوع أو وثبة ذئب ؛ وكل حركة هى لفتة ذعر أو فزعة نمر . ولكن فى كلتيهما غلطة مشتركة هى أن المؤلف يدع هذا الصنف من الناس يعبر عن مشاعره بنفسه فى مستوى دقيق من التحليل والتعليل ، وفى أفق رفيع من التعبير الجميل !

هذا القطيع من الناس أو من الذئاب ، أغلب الظن أنه يعيش بغرائزه ، ويتصرف بسليقته ، ويتحرك بوخزة اللحم والدم والأعصاب ، دون أن يلتفت مرة واحدة إلى التعليل والتحليل . فإذا شئنا أن نعلل نحن ونحلل ، فطريقنا إلى ذلك أن نترجم عنهم ، ولا ندعهم يعبرون بأنفسهم لأنهم لا يستطيعون التعبير إلا بالحركة والعمل ، وعلينا نحن التفسير والتأويل !

وفى « ساعات الهول » تصوير عنيف للحظات غارة جوية تنتهى ببطل الأقصوصة إلى بتر ساقه وهو « نموذج إنسانى » للرجل الحاد المعتز بقوة بدنه ، يرى نفسه بعد لحظات أبتر الساق ضعيفاً مسكيناً . وهنا فقط يتذكر الريف ... الريف الحنون المتسامح ، ويتذكر القرويين ، القرويين الطيبى القلوب الذين لا يسخرون بذوى العاهات ، والذين يرحمون عزيز قوم ذل ! والخطرات النفسية المتتابعة صحيحة و « النموذج » مرسوم بوضوح بطريقة المؤلف الحادة العنيفة

وفى « رجل مريض » و « حياة رجل » نموذجان من لون آخر : الأول نموذج الرجل الضعيف الخائب المتحل . والثانى نموذج الرجل البوهيمى الساخر بكل الأوضاع والأوهام

وفى هذه الأقصوصة الثانية اقتباس من موقف الراقصة فى قصة « ثروة هوى » لكوبرين . وانتفاع من بعيد بشخصية « سانين » فى قصة « ابن الطبيعة » لتشيكوف من القصص الروسى . ولكنه اقتباس وانتفاع لا يعيب

أما « نفوس معذبة » فهى أقصوصة خفيفة . ليس فيها من خصائص المجموعة إلا الجوع . ولكنه جوع هادئ سارب فى النفس ، يجد غذاءه فى لحظة مناسبة ، فيقتات فى فكاهة ولطف : شاب انقطع عن التعليم وآوى إلى الريف ، ولكنه يرتاد القاهرة بين الحين والحين فى زيارة أخيه ، فتضيق به زوجة شقيقه القاهرية المتمجرفة . وفى مرة لا يجدها ، ولكن يجد فى الدار فتاة خادمة جميلة ، تمنعها الزوجة عذاباً أليماً لأنها جميلة ! ويحس فى نفسه الجوع إلى المرأة والوحشة إلى الأنيس ، فيرويهما ويتقم من زوجة أخيه فى ضربة واحدة ... ويتزوج الفتاة

والحادثة ليست هى العنصر الأول فى القصة ، إنما هو التصوير للمواقف والتشخيص للخواطر ، وكلاهما متوافر فى هذه الأقصوصة الخفيفة

* * *

ونبقى بعد ذلك أقصوصتان : قلب عذراء . وفى القطار . ولست أشك فى أنه بلغ فيهما غاية التوفيق - على طريقته وفى مستواه - وهما مقابلتان لأقصوصتى : « الذئاب الجائعة » و « فى القرية » ...

إذا كان الجوع فى الأولى جوع الطعام ، وفى الثانية جوع الغريزة ، فالجوع فى هاتين الأخيرتين هو جوع روحى - بمقدار ما تخلص الروح من جوع الغريزة - جوع الروح الموحشة من الرفيق ، ورفرفة الروح التى تجد هذا الرفيق وإن أبى (شيطان المؤلف) إلا أن ينتهى بهما إلى الحرمان أو ما يشبه الحرمان ؛ لأن نزعته العامة هى تصوير (الجوع) هذا العنصر الذى يبرزه إبرازاً واضحاً ، ويوفق فى إبرازه إلى أبعد الحدود

فى (قلب عذراء) تجد الفتاة الفنية الذكية ، ذات الحس الأنثوى الشاعر . تجد فى نفسها الفيض الذى تحسه الفتاة ، ثم لا تجد لهذا الفيض متصرفاً ... الرجل من حولها إما شاب طامع ، وإما شيخ متهدم . لم تجد مثلها الأعلى الذى ترجوه ، وضاق صدرها بهذا الفيض الذى لا يتصرف ، فتطوعت للتمريض لتريق هذا الفيض المذخور عطفاً على المرضى البائسين !

ولكنها تمل هذه الحياة بعد حين ، ويكاد النبع الفائض

يفيض حين تلتقي بالشاب (حسن) يحضر لزيارة أخيه الصبي المريض وتجمع كل أشواق الأمنى الحبيسة ، وكل حنان المرأة الكظيم ، فتتوجه بهما جميعاً لا إلى الشاب ـ فالخجل الغريزي يمنعها ـ ولكن إلى هذا الصبي المريض ، شقيق الشاب الحبيب

كل خطرة نفسية وكل حركة جسدية صورها المؤلف تصويراً قوياً صحيحاً وطبيعياً صادقاً . ولكنه آثر في النهاية ـ إطاعة لشيطان الحرمان ! ـ أن ترفض المرأة الختام الطبيعي المنتظر ، لأنها أصبحت امرأة عامة ، تقابل هذا وذاك . فهي تشفق على فتاها أن تشقيه بها ، وهو ابن الريف ، وقد شاهدت والده القوي الغيور !

على أية حال ليس لنا أن نتحكم في اتجاه المؤلف . ولكن لنا أن نلاحظ ، أن المرأة في هذا كانت مثالية أكثر مما تستطيع طبيعة المرأة ذات الفيض الحبيس المكتوم

فأما (في القطار) فقد سمح له هذا الشيطان اللعين أن يتخفف قليلاً من (غول الحرمان) وأن يسمح لبطل الأقصوصة وبطلتها أن يرتويا ، وأن يرويا نزعة الفن والحياة في نفوسهما

لقد التقى بها في القطار . ولقد تعارفا كما يتعارف الغريبان الظامئان ، ولقد نزلا في فندق واحد على البحر ، في حجرتين متجاورتين ، وحيها جنهما الليل استعرت في بدنه جوعة الغريزة ، ولكنه نام حتى الصباح ليكشف أنها كانت ساهرة ترسم المنظر الجميل في ضوء القمر ، لتخبر صريعة الحمى في اليوم التالي

وهنا تتوارى جوعة الجسد ، وترتفع النفس البشرية إلى الآفاق الإنسانية ، حتى إذا زالت الوعكة ، وجدا نفسيهما الشاعرتين ، وعاشا للحب والفن ، عاشا إنسانين قد تلهبهما الغريزة ولكنها تتسامى وتتزيا بالزي الروحي الجميل

* * *

المؤلف أعمال أدبية لم أقرأها : الرعيل . ورجل وفندق الدانوب . فهو إذن ليس مبتدئاً — وأنا لا أعرف شخصه ولا ثقافته — و « الذئاب الجائعة » تصلح عملاً أدبياً في منتصف الطريق .. شيء من التحوير في حكاية القصة كالذي تطلبناه في القصتين الأوليين وشيء من البساطة في رسم النماذج الإنسانية والخواطر والمواقف يكمل به الصدق الطبيعي في الحياة وإن نقص به بعض اللذة في التعقيد والمفاجأة ؛ فنجد بين يدينا كاتب قصة أو أقصوصة من لون جديد ، ومن طعم جديد

سيد قطب

لجنة النشر للجامعيين

تقدم

للأستاذ عادل كامل

مليم الأكبر

(القصة التي رفضها المجمع ؟ !)

كتابان في كتاب

١ — مقدمة قصصية طويلة في نقد اللغة العربية والأدب العربي وفنونه ١٣٨ ص

٢ — قصة تصور التيارات الفكرية الحديثة في المجتمع

تطلب من مكتبة مصر ٦٣ شارع الفجالة

الثمن ٢٠ قرشا ٢٩٠ صفحة

آن الأوان أن أمسك يا مليم :

وآن الأوان أن تظهر على المسرح . فاني أسمعهم يدقون

ولكن قبل أن أتركك تسعى ، يتعين علي أن أحيك من نقد من قديجد في صورتك ألواناً غريبة . أو يرى في مسلكك أفعالا شاذة ، فأحدثه بما قال أرسطو في كتاب « الشعر » :

« إن مهمة الفنان ليست التعبير عن الأشياء كما وقعت ، بل التعبير عنها كما يجب أن تكون ، وذلك في حدود الممكنة ، ووفقا للنتائج المحتملة أو الضرورية فان ما يميز الشاعر عن المؤرخ ليس أن أحدهما يكتب شعراً والآخر نثرا ، بل أن أحدهما يروى الواقع ، والآخر يحدث بما كان من الممكن أن يكون . لهذا كان الشعر أداة فلسفية فائقة ، لا يستطيع التاريخ أن يسمو إلى آفاقها »

وأحدثه أيضاً يقول أجاثون :

« من المحتمل — على وجه عام — أن تقع أشياء كثيرة على خلاف المحتمل »

والآن فلتنطلق يا مليم إلى حيث تريد لك الأقدار

ولعلك مصرفي ...

ختام مقدمة مليم الأكبر